**رسام برياش متكسّرة**

**نور عسلية – 15/12/2019**

استرجعت تدوينات قديمة تحتوي على مراجعات لكتب كنت قد قرأتها ، إحداها دفعتني لإعادة قراءة الأجنحة المتكسّرة ، الشهيرة جداً لخليل جبران . كنت قد قرنت رسوم جبران بروايته و أسهبت في تأملها ومحاولة تحليلها استناداً إلى النزعة الرومنسية والتي تنسب إليها أعمال جبران أدبياً. كان جبران قد تدرّب بين عامي ١٩٠٨ و١٩١٠ في أكاديمية جوليان في باريس ، نسبة لمؤسسها الفنان رودولف جوليان، وهي معادل المدرسة الوطنية للفنون الجميلة اليوم . صحيح أن أعمال جبران ،التي يقارب عددها السبعمئة، لا تنتمي تشكيلياً تماماً إلى المدرسة الرومانسية في التصوير على طريقة آنغر و دولاكروا، خصوصاً أن المادة تلعب دوراَ كبيراً في الاختلاف (فمعظمها مائيات) ، إلّا أنها تحتفظ بروح الرومانسية. وباختصار شديد - شديد لأن التصنيف النقدي للرومنسية يخصصها في ثلاث مراحل وفقاً للتتابع الزمني ، وبذلك فهي شديدة الغنى والتشعب تاريخياً وجغرافياً- تعرَّف الرومانسية كحركة مناهضة للمدرسة الكلاسيكية الجديدة ، أي أنها تهتم بالابتعاد عن تمجيد الكلاسيكية الإغريقية في الفن ، وتنزع نحو التعبير عن المشاعر والغوص في نعيم النفس وجحيمها لاستمداد الإلهام.

هذه الرسوم الرهيفة التي تظهر فيها روح جبران شفافة ، عارية ، مقدّسة لهي إرث نادر في تاريخ الفن التشكيلي العربي المعاصر. فهي كثيراً ما تمجد العريّ وتستمدّه من المقدس رغم وعورة المقاربة. وهذه الثنائية شديدة الندرة والخصوصية.  ثم أن أعمال جبران تنتمي إلى بعضها على نحو ملفت، دالةً على رؤية تشكيلية محددة، يحميها – باعتقادي- إلى حد كبير أن جبران لم يتّخذ الفن يوماً مهنة . وفي الحقيقة ، أجد فيما أجده من أهمية هذا الرسوم ، المائية منها خصوصاً،  بأنها تحيل إلى إعادة التأمل في معنى الرومنسية لدى جبران، أي أن ننظر إلى روايته بوصفه رساماً. ستبدو الخصائص الأسلوبية في روايته أقرب إلى حساسية عاطفية حرّة من كونها تقنيات تيار أدبي محدد. فيبدو الرسام الكاتب ككيان تتملكه حساسية عاطفية مفرطة ، يعيشها في الحدث اليومي و تظهر في كل يستنطق.

وعلى سبيل المثال ، إذ يصف حدث موت جنين سلمى بطلة روايته ، الوليد الذي سرعان ما توفي بعد مولده، يقول : «ولد مع الفجر ، ومات عند طلوع الشمس، فأي بشري يستطيع أن يقيس الزمن ليخبرنا ما إذا كانت الساعة التي تمر بين مجيء الفجر وطلوع الشمس، هي أقصر من الدهر الذي يمرّ بين ظهور الأمم وتواريها؟» وهذه العبارات ، التي تذكر بالروح الفلسفية الأدبية لدى مارسيل بروست ، تبدو متحررة إلى درجة كبيرة من قيود المدارس والتصنيفات.

هناك دراسة للكاتب القدير ثروت عكاشة بعنوان «جبران مصوراً» أعرف بوجودها لكن للأسف لم أتمكن من الحصول عليها أو الاطلاع على محتواها، لكن أعتقد أنها قد تحمل تفسيرات مهمة في سياق ربط رسوم جبران بأدبه ، خصوصاً أن عكاشة هو من ترجم كتاب «النبي» والذي كان جبران قد كتبه بالإنكليزية.

أتوقف نهاية مع هذا الاقتباس من «الأجنحة المتكسرة» : «فدنوت منها صامتاً وجلست بقربها جلوس مجوسيّ متهيب أمام النار المقدسة، ولما حاولت الكلام وجدت لساني منعقداً وشفتيّ جامدتين ، فاستأنست بالسكوت ..»